أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد اللّه

أ. مريم خالدي

يمثل أدب الرحلة رافدا من روافد الأدب العربي على مر التاريخ إذ يجمع في ثناياه عناصر التشويق في الحكي، والجنوح الى الغرابة، مما جعله مجالا للتحليل الأدبي حيث حظيت أعمال الرحالة بقدر كبير من الشهرة، وذلك لما احتوت عليه مادة الرحلات من عناصر الخلق والإبداع، ولما في موادها على حد قول حسني محمود حسين في كتابه :"أدب الرحلة عند العرب " من أساليب ترتفع بها الى عالم الأدب، وترتقي بها الى مستوى الخيال الفني، مع الإبتعاد عن الأسلوب الأكاديمي الجاف والمادة التجريدية إذ يتنوع الأسلوب فيها بين السرد القصصي والحوار والوصف".

ورغم الأهمية البالغة التي يكتسيها أدب الرحلة بين الفروع الأدبية إلا أن الاهتمام به يكاد ينحصر لدى فئة قليلة من الباحثين والعلماء من المشتغلين بمختلف الفنون والمعارف في العالم العربي اجمع والجزائر خاصة، ولكن هذا لم يمنع ثلة من هؤلاء من الإهتمام والإشتغال بأدب الرحلة والرحالة من الزاوية التي لها علاقة بإهتماماتهم وتخصصهم، ولعل من الرحالة الجزائرين الذين برزوا في هذا المجال هوالدكتور أبوالقاسم سعد الله، إذ نجد لهذا الأخير العديد من الرحلات العلمية الجديرة بالدراسة والتنويه، ومن خلال مداخلتنا هذه والموسومة بعنوان " أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله " سنحاول التعريج على جهوده في التعريف بأدب الرحلة الجزائري، وأهم رحلاته العلمية التي دونها.

أولا: مفهوم أدب الرحلة:

مما لا شك فيه أن الوقوف عند تعريف جامع وشامل لأدب الرحلة أمر صعب، وهذا ما يفسره تعدد التعاريف التي صاغها الباحثون والمهتمون بهذا المجال؛ فقد جاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب " أن أدب الرحلة هومجموعة الآثار الأدبية التي تتناول إنطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أويسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أويجمع بين كل هذا في آن واحد ".

فأدب الرحلة حسب تحديد مجدي وهبه هوتلك المؤلفات التي تتحدث عن مغامرات واقعية قام بها الرحالة، وتعرف من خلالها على أحوال البلاد التي زارها وعادات أهلها وسلوكهم والتي تركت في نفسه إنطباعات عدة نقلها لنا من خلال مؤلفه. ذلك أن الرحالة وهومن يجوب مختلف الأقاليم يتأثر بما يلاحظه ويسمعه من مظاهر مختلفة (١).

أما ناصر موالفي فيعرفه بأنه " ذلك النثر الذي يصف رحلة –ورحلات– واقعية، قام بها رحال متميز، موازنا بين الذات والموضوع، من خلال مضمون وشكل مرنين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه " . أوكما تقول أسماء أبوبكر في نص الرحلة " فن من فنون القول العربي، يصف مجالات الحياة عند الرحالة الذي سجل رحلته، أوحكاها لغيره ثم سجلها " (٢).

وفي تعريف الأستاذ الحاتمي فيقترح علينا مفهوما شاملا على حد تعبيره: بقوله" الرحلة خطاب تنشئه ذات مركزية، هي ذات الرحالة، تحكي فيه أحداث سفر عاشته، وتصف الأماكن المزورة، والأشخاص الذين لقيتهم، وما جرى معهم من حديث، وغايتها من هذا الحكي إفادة القارئ وإمتاعه" (٣).

فمن خلال هذه التعريفات المتعددة الجوانب يمكننا القول أن أدب الرحلة فن نثري يقوم على رحلة قام بها شخص في الواقع، فينقل للقارئ مشاهداته وإنطباعاته التي تركتها الرحلة أوبعبارة أخرى فإن أدب الرحلة فن من فنون النثر العربي، يمتاز بـ " تشكيل لنص ذاتي / شخصي بخصوص الأنا والآخر... يتبين مكتفيا في شكل معين للتعبير عن رؤية معينة إنطلاقا من خطاب مفصح عنه في البداية، أومضمر في تضاعيف السرد والوصف والتعليقات" (٤).

وأدب الرحلات فن موغل في القدم عرفته قبل العرب أمم أخرى كالفراعنة

والفنيقيين والرومان والإغريق، ثم جاء الرحلة العرب الذين جالوا الآفاق، وإشتهر منهم كثيرون مشرقا ومغربا منهم الرحلة إبن بطوطة، إبن جبير، الإدريسي... وغيرهم كثير، فلم تلبث الرحلة حتى صارت فن عربي أصيل في النثر العربي بسماته التاريخية والجغرافية، وإهتماماته بحياة الناس وتقاليدهم وأنماط عيشهم، وبمضمونه الفكري والإجتماعي، وأسلوبه الأدبي المتميز غالبا عما سواه.

ثانيا: أنواع الرحلات الجزائرية:

أما فيما يخص أنواع الرحلات، فيقسم المهتمون بأدب الرحلة والرحلات الجزائرية الرحلة الى عدة أقسام أوأنواع تختلف بإختلاف مسببات هذه الأخيرة وأهدافها، والحقيقة أن هذا التقسيم لم يعرف في البدايات الأولى لأدب الرحلة وإنما عرف كما يقول مولاي بالحميسي "عندما زاد على الرحلة الإقبال تنوعت الأغراض وتعددت الموضوعات وتطور هذا الفن الأدبي كماً وكيف، وأصبح من الأهمية بمكان بحيث لا تكتمل ثقافة الإنسان بدونه كما أصبح من المصادر التاريخية".ويشير سعد الله في كتابة تاريخ الجزائر الثقافي لأنواع هذه الرحلات بقوله: "وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج وبذلك تكون رحلات حجازية وبعضها لطلب العلم وبذلك تكون علمية " (٥).

أما فيما يخص أنواع الرحلات، فيقسم المهتمون بأدب الرحلة والرحلات الجزائرية الرحلة الى عدة أقسام أوأنواع تختلف بإختلاف مسببات هذه الأخيرة وأهدافها، والحقيقة أن هذا التقسيم لم يعرف في البدايات الأولى لأدب الرحلة وإنما عرف كما يقول مولاي بالحميسي "عندما زاد على الرحلة الإقبال تنوعت الأغراض وتعددت الموضوعات وتطور هذا الفن الأدبي كماً وكيف، وأصبح من الأهمية بمكان بحيث لا تكتمل ثقافة الإنسان بدونه كما أصبح من المصادر التاريخية".ويشير سعد الله في كتابة تاريخ الجزائر الثقافي لأنواع هذه الرحلات بقوله: "وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج وبذلك تكون رحلات حجازية وبعضها لطلب العلم وبذلك تكون علمية "

١- الرحلة الحجازية:

ويقصد بهذا النوع هوالرحلات التي كانت تتجه إلى بلاد الحجاز عموما وبلاد الحرمين الشريفين خاصة، وكان توجه الجزائريون الى الحجاز عادة نتيجة توق روحي نحوالحرمين الشريفين وزيارة البقاع المقدسة وزيارة البقاع التي وطئتها أقدام الرسول صلوات الله عليه وسلم وصحابته، "فالحجاز في نظرهم ليس مجرد بقعة جغرافية تزار للسياحة والعلم ونحوذلك ولكنها كانت قطعة أرض طاهرة تضم تاريخ الوحي والدعوة والأمة الإسلامية ".

فكان هؤلاء يسجلون إنطباعاتهم وأحاسيسهم الفياضة المتأججة بالطريقة التي تروقهم ونقصد بذلك الإستعانة بالشعر أوالنثر، ومنه إنقسمت الرحلة الحجازية بدورها إلى رحلة حجازية شعرية وأخرى نثرية:

أ- الحجازية الشعرية:

إهتم الجزائريون كغيرهم من الرحالة بالرحلة الشعرية، فكتبوا قصائد طوال يمدحون فيها الرسول الأعظم، ويصفون وصفا حيا لكل شبر من تراب الجزيرة العربية، وهذا ما نستخلصه من العديد من الرحالة كما هوالحال بالنسبة لقصيدة محمد بن محمد بن منصور العامري التلمساني وهي قصيدة همزية وصف فيها مراحل رحلته من تازة حيث كان يقيم، الى الحرمين الشريفين ثم منهما الى الشام. والقصيدة تبدأ هكذا:

أزمع السير إن دهت ادواء
لشفيع الأنـــام فهوالدواء

كما نظم عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي رحلته من مجاجة الى مكة المكرمة في قصيدة مطولة فصيحة سنة ١٠٦٣م. مطلعها على النحوالتالي:

نشق الفيافي فدفدا بعد فدفد
جبالا وأوعاراً وارضاً وطية

وفي هذا المجال يضيف أبوالقاسم سعد الله عن الرحلة الشعرية بأن الجزائريين لم يدونوا رحلاتهم الشعرية باللغة العربية الفصحى فحسب، وإنما إستعان البعض منهم بالشعر الملحون أيضا، ولنذكر في هذا الإطار قصيدة لـ محمد بن مسائب التلمساني في القرن الثاني عشر، فقد نظم قصيدة قص فيها رحلته من تلمسان إلى مكة المكرمة عبر مدن وقرى الجزائر من غربها الى شرقها مرورا بطرابلس فمصر، حيث وصف فيها الأماكن التي مر بها سواء المؤدية الى الحجاز أوداخل الجزيرة العربية، ووصف فيها عواطفه نحوالرسول ....الخ. وتبدأ رحلة ابن مسائب الشعرية بهذا المطلع:

يا الورشـــــان أقصد طيبه
وسلم على الساكــن فيها

ومن ذلك ايضا القصيدة الطويلة التي نظمها الشاعر سعيد المنداسي والتي تعرف (بالعقيقة) وقد نظمها سنة ١٠٨٨ه (١٦٧٧م) وموضوعها هومدح الرسول ووصف البقاع المقدسة وآثار الحجاز ومنازله وذكرياته الدينية الغابرة، وقد تولى شرحها والتعليق عليها عدد من المؤلفين فأضافوا إليها معلومات غزيرة وأصبحت شروحهم وتعليقاتهم عليها وكأنها رحلات مستقلة تتناول تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية بطريقة قد يعجز عنها الشعر (٨).

ويمكن أن ندخل في هذا الباب ايضا كل القصائد المديحية التي يتوجه بها أصحابها الى الرسول والديار الشريفة حتى ولولم يزرها أصحابها، أوزاروها قبل أوبعد قرض الشعر. وفي هذا الصدد نظم الشيخ عبد الكريم بن الفكون، الذي زار الحجاز مرار كأمير لركب الحجاج الجزائريين، ديوانا كاملا في المديح النبوي رتبه على حروف المعجم سنة ١٠٣١ه (٩).

ب- الحجازية النثرية :

فيما يخص الرحلة الحجازية النثرية فتأخذ نصيب الأسد في إهتمام الباحثين في هذا المجال، ومن المصطلح عليه أن تكون هذه الرحلات نثرية، يتحدث فيها أصحابها عن مشاهداتهم وملاحظاتهم بلغة واقعية أوقريبة للواقع، حيث ينتقل صاحبها بدنيا لا روحيا أوخياليا من موطنه الى الحجاز وغيره من مناطق الجزيرة العربية ثم يصف لنا الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والعلمية في مزاره أويكتفي بوصف بعض المظاهر من ذلك.

وتبرز مساهمة الجزائريين في هذا المجال، في العديد من الرحلات ويستفيض سعد الله في الحديث عن الكثير منها، بالرغم من تأكيده على قلة هذا النوع من الرحلات يقول في ذلك " لا يوجد من هذا النوع إلا عدد قليل، كما أشرنا، ومن الرحلات الجزائرية الحجازية ولسوء الحظ أنها على قلتها لا تكاد توجد كاملة مخطوطة، فما بالك بها مطبوعة"(١٠).

وأول رحلة حجازية مذكورة في المصادر هي رحلة البوني المسماة الروضة الشهية في الرحلة الحجازية لصاحبها أحمد بن قاسم بم محمد ساسي البوني وتعتبر هذه الرحلة اليوم مفقدودة، إلا أن سعد الله يؤكد على قيمة هذه الرحلة وأهميتها كما جاء على لسان إبنه المعروف بأحمد الزورق البوني بقوله " فعليك به (يعني التأليف) فإن فيه طرفا وظرفا". وتمكن أهمية الرحلة في أن البوني قد حج وتجول بالمشرق حسب ما ذكر في مصادر أخرى، ولا شك أنه وصف فيها الحياة وأنماطها هناك كما شاهدها هوبنفسه وذكر العديد من شيوخه...الخ. إلا أن ضياعها قد حرمنا من معرفة ما احتوت عليه بالظبط (١١).

أما الرحلة الثانية هي رحلة لعبد الرزاق إبن حمادوش الجزائري والمسماة (لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والآل) وهي في عدة اجزاء والموجود منها هوالجزء الثاني المتعلق برحلته الى المغرب الأقصى، فرحلته من هذه الناحية ليست حجازية، ولكن إبن حمادوش الذي أشتهر بتسجيل دقائق الأمور وصغيراتها في الجزء الثاني لا نخاله إلا أن يكون قد سجل تفاصيل كثيرة عن أوضاع الجزيرة العربية أثناء حجه سنة ١١٢٥ه، إلا أن بقية اجزاء الرحلة لم يتم العثور عليها لتأكيد ذلك (١٢).

وهناك رحلة أخرى كتبها المفتي أحمد بن عمار الجزائري المسماة (نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب)، وقد قسم إبن عمار رحلته هذه الى ثلاثة أقسام : مقدمة وغرض مقصود (وهوالرحلة) وخاتمة. وفي المقدمة - وهي القسم الموجود والمطبوع ايضا من هذه الرحلة - وصف إبن عمار أشواقه الى الحرمين وإلى الرسول وتحدث بالمناسبة عن شعر الموشحات المولدية والمدائح النبوية وعادات أهل الجزائر أثناء الاحتفال بالمولد النبوي. وقد تناول في القسم الثاني، اي الغرض المقصود عن رحلته من الجزائر عبر تونس وطرابلس ومصر والحجاز . كما أن الخاتمة التي جعلها فيما نشأ عن ذلك (يعني السفر) بعد السكون وانضم إليه إلا ان هذان القسمان مفقودان (١٣).

ومن العلماء الجزائريين الذين أكثروا من الترحال والكتابة أيضا نجد أبي راس الناصري ورحلته المسماة بأكثر من إسم منها عدتي ونحلتي في تعداد رحلتي، و فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ، وكان إهتمام أبي راس بالتاريخ والأنساب وحافظته القوية يساعدناه على إلتقاط ما قد يفوت الآخرين عن الأماكن التي زارها، وقد ضمن في الرحلة أخبار من لقيهم وأخبار شيوخه بالمشرق والمغرب، ولعله قد ضمنها أيضا حديثا عن مشهداته ومعايشاته في الجزيرة العربية. وفي هذا قسَّم رحلتها هاته الى خمسة أبواب، فتحدث في الباب الأول عن إبتداء أمره، كما قال، ويعني به طفولته وشبابه، وتعلم وتدربه....الخ. وفي الباب الثاني عدد

شيوخه في الحجاز، وقد خصص الباب الثالث للحديث عن رحلته الى المشرق وغيره، وتناول الباب الرابع أجوبته عن مسائل عرضت عليه أووردت إليه من مختلف البلدان، أما الباب الأخير فقد خصصه للحديث عن تآليفه (١٤).

وكانت الرحلة الحجازية التي إستوقفت الباحثين الجزائريين والأجانب عندها، وأفردوا لها ولصاحبها الدراسات المختلفة والمتعددة هي رحلة الورتلاني، إذ تعتبر الأخيرة الوحيدة المطبوعة في شكلها الكامل، والتي وصلت إلينا، وقد أسهم الورتلاني بعمل ضخم في التاريخ من خلال رحلته التي أراد من خلالها تقدم عمل يضاهي أويفوق عمل الدرعي والعياشي وغيرهما من كتاب الرحلة المغاربة. وقد سمى رحلته بـ' نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار' حيث تحدثت الرحلة بإسهاب عن أحوال الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر (١٨م)، وتضم أخبارا عن جزء كبير من العالم الإسلامي، فهي من المراجع التي لا غنى عنها في هذا المجال (١٥).

٢- الرحلة العلمية:

والمقصود بها الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والإطلاع على البلدان عموما والأخذ من علمائها ووصف الحياة العلمية بصورة خاصة، وقد قام العديد من العلماء برحلات لهذا الغرض لعل من أقدمها ما فعله عاشور بن موسى القسنطيني ، حيث شد الرحال لطلب العلم في عدة بلدان وطالت غيبته عن بلاده نحوعشرين سنة، أين سمحت له بالإطلاع والملاحظة وحذق لهجات ومعرفة قبائل وشعوب وبلدان، ومن هذه البلدان التي قصدها تلمسان والمغرب الأقصى وبعد إستقراه بالجزائر وبالظبط في قسنطينة أرتحل عنها من جديد فذهب الى تونس واستقر بها مدة وانتصب لتدريس بجامع الزيتونة، ومن تونس هاجر الى الحجاز لأداء فريضة الحج فأدركه الموت بعد سنة ١٠٧٤م.

ومن الرحلات العلمية أيضا التي وصلت إلينا رحلة عبد الرزاق ابن حمادوش التي تعرف 'بلسان المقال' في رحلة قام بها المؤلف لطلب العلم والتجارة من مدينة الجزائر إلى تطوان ومكناس وفاس، ثم عاد الى الجزائر من تطوان، وقد وصف إبن حمادوش الحياة العلمية وجوانب من الحياة السياسية والإقتصادية في المغرب الذي زاره مرتين على الأقل، وأيضا أخبار عن تونس والجزائر وغيرهم ولكن جانب الرحلة منه يتعلق بالمغرب. وتمتاز هذه الرحلة بكونها مصدرا هاما عن المغرب في هذه الفترة التاريخية لأهمية النصوص التي وردت فيها من جهة، والمشاهدات العينية للأماكن والأحداث التي وقعت، وكذا تقاليد إجتماعية ونشاط العلماء ونحوذلك (١٦).

وآخر الرحلات العلمية التي نشير إليها في هاته الورقة العلمية هي رحلة 'الحاج إبن الدين الأغواطي' الى الصحراء، فقد جمع إبن الدين في رحلته أخبارا عن الصحراء وقراها وواحاتها وعاداتها وبين الحديث عن جزء من الجزيرة العربية وجربة وقابس وشنقيط ونحوها، ولعل إبن الدين قد كتب عن هاته المناطق عن طريق ما سمعه عنها وبعضها قد زراها بنفسه، وأهم المناطق التي ذكرها في رحلته: الأغواط، وتاقدامت، وعين ماضي، وجبل عمور، ووادي ميزاب، والقليعة (المنيعة)، وورقلة، وتقرت ، وتوات، وتيميمون، وعين صالح، وشنقيط، وغدامس، والدرعية، وقابس،وجزيرة جربة .وقد إستفاد الأروبيون والأمريكيون، أثناء اهتمامهم بالصحراء ومحاولة إكتشافها، من هذه المعلومات التي أرودها الحاج إبن الدين عن قراها وعادات أهلها ومسالكها (١٧).

علاوة على هذه الرحلات فهناك العديد من الرحلات العلمية الجزائرية والتي لا يسع الحديث لذكرها جميعا وسنكتفي بما ذكرنا، ولعل لنا عودة مرة أخرى بشئ من التفصيل لمعظم هذه الرحلات في مناسبات أخرى.

٣- الرحلات الإستكشافية:

ونعني بهذا النوع هوالرحلات التي قام بها جزائريون بغرض الإطلاع على المناطق وإستكشافها وتدوين معلومات حولها، وكان الكثير منها يدخل ضمن إهتمام السلطات الإستعمارية في الجزائر بهذا النوع ، فقد قام العديد منهم وبطلب أحيانا كثيرة من السلطات الفرنسية برحلات للعديد من الأماكن التي لم تخضع بعد في تلك الفترة لفرنسا بغية إستقصاء أخبارها والبحث عن نقاط قوتها وضعفها لنقلها للفرنسيين بقصد الإستفادة منها في عملية الغزوالمقبلة، وفي هذا الإطار يكون هذا النوع من الرحلات للإستكشاف والجوسسة أيضا.

ولعل في المقام ذكر بعض الرحلات الجزائرية في هذا النوع، وهي رحلة 'مصطفى بونمان' إذ قام برحلة إلى الصحراء وصل فيها إلى غدامس. وكذا

رحلة محمد الطيب بن ابراهيم، فقد كانت رحلته من ورقلة إلى غدامس حوالي سنة ١٨٨٥م، وأحتوت الرحلة على معلومات هامة حول الآثار والطرق والكتابات اللوبية القديمة. ونشير إلى رحلة أخرى قام بها 'إسماعيل حامد' عنونها بـ' خمسة أشهر بالمغرب' وصف فيها الوضع الإجتماعي والسياسي واللغوي والإقتصادي هناك، وقد جاءت الرحلة عشية إهتمام فرنسا بأحوال المغرب تمهيدا لإبتلاعه. وسنكتفي بهاته النماذج من الرحلات الإستكشافية لإن المجال لا يسع لذكرها جميعا (١٨).

ثالثا- رحلات سعد الله الخاصة:

لأبي القاسم سعد الله رحلات وزيارات عديدة، داخل وخارج الوطن، فالكثير منا يعرف الأستاذ سعد الله مؤرخا لأدب الرحلة والرحالة الجزائريين التي ضمن كثير منها في موسوعته الثقافية، وما قد لا يعرفه البعض انه هوالآخر كان رحالة وأديب، حيث نلاحظ له العديد من الرحلات التي وقفنا على بعضها وهي منشورة في كتابه 'تجارب في الأدب والرحلة' وكتب أخرى مثل 'الجدل الثقافي' و'هموم حضارية'. وقد عكف في رحلاته هاته على تسجيل الأحداث والمشاهد والأحاديث والملاحظات والإنطباعات، وذكر أنه عند النشر ينشر ما يجوز نشره في الوقت الحاضر ويترك الباقي مدونا إلى أن يأتي اليوم الذي ينشر فيه ولوكان بعد عشرات السنين. وفي هذه الورقة العلمية سنحاول التطرق إلى نموذجين من رحلاته، ويتعلق الأمر برحلته الى المغرب سنة ١٩٧٣م، ورحلته إلى شبه الجزيرة العربية (السعودية) سنة ١٩٧٧م.

وقبل ذلك سنحاول التعريف بالرحالة أبوالقاسم سعد الله، فمن هوأبوالقاسم سعد الله ؟

١- تعريف الرحالة:

أبوالقاسم سعد الله باحث ومفكر ومؤرخ جزائري، من مواليد عام ١٩٣٠م، في قرية لبدوع وهي إحدى ضواحي مدينة قمار بولاية الوادي، ببلوغه سن الخامسة من عمره أدخل جامع القرية، لحفظ القران الكريم وتلقى مبادئ العلوم الدينية بمسقط رأسه البدوع، وفي سنة ١٩٤٧م شد الرحال الى جامع الزيتونة بتونس أين تحصل منها على شهادة الأهلية سنة ١٩٥١م، ثم التحصيل سنة ١٩٥٤م، إلتحق بعدها بمصر أين سجل بكلية دار العلوم سنة ١٩٥٥م، ليتحصل منها سنة ١٩٥٩م على شهادة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، ليكمل بعد ذلك دراسته بأمريكا بعد حصوله على منحة، أين سجل بجامعة منيسوتا بقسم التاريخ سنة ١٩٦٠م، ليتحصل بعد خمس سنوات على شهادة الماجستير والدكتوراه في التاريخ والعلوم السياسة.

عاد إلى جامعة الجزائر سنة ١٩٦٧م، وبدأ مساره الأكاديمي، حيث شغل عدة مناصب ومسؤوليات في الجامعة الجزائرية، وكان أستاذا زائرا في العديد من الجامعات العربية والأجنبية، وخلال مسيرته العلمية طاف العديد من البلدان العربية والأجنبية سائلا وجائلا في دور المكتبات ودور الأرشيف، فأنتج بذلك طائفة من التواليف شملت كل من الأدب والتاريخ والترجمة والتحقيق، والتي زادت على الأربعين مؤلف وستبقى كتبه ودراساته شاهدة على موسوعيته وأصالة أبحاثه وغزارة علمه (١٩).

وقد تلقى الراحل عدة أوسمة وجوائز تقديرية منها " وسام المقاوم " عن دوره في الثورة الجزائرية عام ١٩٨٤م، و"وسالم العالم الجزائري" عام٢٠٠٧م من طرف معهد المناهج كأكثر شخصية خدمت الثقافة الجزائرية،كما فاز عام ١٩٩١م بـ " جائزة عبد الحميد إبن باديس" لمؤلفاته القيمة في الثقافة العربية والإسلامية. وقد إنتقل الى رحمته تعالى يوم السبت ١٤ديسمبر٢٠١٣م عن عمر ناهز ٨٣ سنة.٢-:

٢- رحلاته:

أ- رحلته الى المغرب:

كانت رحلة سعد الله الى المغرب في ٢٩ يوليوالى غاية ١٩ أغسطس ١٩٧٣م، في بداية رحلته هاته تحدث سعد الله عن أسباب قيامه بهاته الرحلة والتي كانت حسب قوله " لتنفس هواء جديد" ، وللإطلاع وتعقب آثار أسلافه وما خلفوه هناك، وجمع المادة التاريخية لكتابه تاريخ الجزائر الثقافي. كان سفره من مطار الجزائر إلى المغرب على متن طائر تونسية، بعثت في نفس أديبنا إحساس قومي وحدوي لطيف وهي تحلق في الأجواء المغربية يقول عن ذلك " عندما أعلنت المضيفة التونيسة بصوت رخيم أن الطائرة ستبدأ في الهبوط بمطار 'النواصر'. شعرت أن الطائرة كانت حمامة سلام ووحدة بين الأقطار الثلاثة، فقد تجمع فيها الجزائريون والمغاربة والتونسيون وأندمجت فيها طبائعهم المتكاملة: لطافة التونسي، وإنسانية الجزائري وشهامة

المغاربي. فتاقت نفسه إلى وحدة تتكامل فيها أقطار المغرب العربي.

تحدث سعد الله عن الإجراءات الجمركية في المطار، حيث سرعة الإجراءات وبساطتها وترحيبها، وبعد خروجه من المطار راح الكاتب يصف رحلته من المطار إلى الرباط على متن سيارة أجرة بمعية سبعة أشخاص فيصف أثناء ذلك الدار البيضاء وقد سقط الليل وصفا أدبيا يعكس ميوله الأدبية وإحساسه الفني في الإستجابة للصور التي بدأت تجسدها الأنوار في المدينة. وكان من حين لآخر يستطرد فيصف معالم الطريق بين الدار البيضاء والرباط والبالغ طوله تسعين كليومتر، ويصف الأشخاص داخل السيارة والجوالسائد فيها "وظللنا طول الطريق صامتين ولم ينبس أحدنا ببنت شفة". ثم يصف طقس الرباط عن وصوله إليها بأنه أكثر لطفا من العاصمة الجزائر، فبين نسماته المنعشة تسلل في طرقاتها باحثا عن كل عن كل ما يمتع النفس ويبعث فيها نفسا جديدا وقد دامت هذه السياحة الصغيرة الى بدأ الهزيج الثاني من الليل فعاد الى الفندق ليكمل ما رءاه صباحا (٢٠).

وفي الصباح الباكر خرج سعد الله لنفس الطرقات التي تجول فيها ليلا والتي أبهرته بمناظرها، فكان يذكر بعض المعالم التاريخية من مساجد وحدائق ومنشآت تجارية وإدارية وغير ذلك، وكانت هذه السياحة الأولية قبل أن تفتح المدينة أبوابها للحركة النشطة وقبل أن تفتح المكتبة الوطنية أبوابها للباحثين، وحين فتحت المكتبة شرع سعد الله في الحديث عن المكتبة وموقعها ويذكر مصالحها والتسهيلات التي لقيها بخصوص حصوله على المخطوطات التي ذهب إليها خصيصا، ثم يعود للحديث عن بعض المعارف الذين صادفهم هناك، منهم الأستاذ محمد ابراهيم الكتاني رئيس قسم المخطوطات الذي يقول عنه "...خُيل إلى أن الكتب هي طعامه، شرابه كسائه ووطاؤه."

وقد أهداه بالمناسبة بعض أعماله الأخيرة ضمت مجموعة من الكتب والمجلات التي احتوت على دراسات تعلقت بالجزائر منها على سبيل المثال دراسة عن الشيخ الإبراهيمي وصِلة المؤلف به، ودراسة بمناسبة مرور عشرين سنة على تأسيس جمعية العلماء، وكذا صور تذكارية له مع شيوخ الجمعية...الخ. وقام سعد بدوره بإهدائه نسخة من كتابه دراسات في الأدب الجزائري.ويذكر سعد الله بعض الأشخاص الذين إلتقاهم في المكتبة من الطلاب الجزائريين الذين يعدون أطروحاتهم في الأدب الجزائري خاصة، ثم يواصل الدكتور سعد الله مستطردا في كلامه الحديث عن الباحثين الذين إلتقاهم هناك منهم الأستاذ عبد السلام الفاسي أحد أعيان المغرب والمؤرخ المصري عبد الله عنان...الخ.

ثم ينتقل بنا إلى مكتبة أخرى تدعى مكتبة الطالب لعبد القادر المكناسي واصِفا إيها مبرزا لنا إندهاشه لما إحتوته من كتب قيمة، ويواصل الحديث عن الوجوه الثقافية ألتي التقى بهم منهم الدكتور عبد الكريم كريم أستاذ التاريخ بكلية الآداب جامعة محمد الخامس، والذي تحدث سعد الله عنه كثير، نظير ما قدم له من تسهيلات في الإطلاع على المخطوطات، وتجول به في سيارته للإطلاع على معالم كثيرة في المغرب، ومن الوجوه الأدبية التي التقى بها أيضا الأستاذ عباس الجراري أستاذ الأدب المغربي في جامعة محمد الخامس، الذي كان له الفضل أيضا في تسهيل مهمته في المغرب، وتعريفه بالكثير من النواحي الثقافية والإجتماعية في المغرب، وما يلمسه القارئ لرحلة سعد الله في حديثه عن المثقف والأستاذ الجامعي في المغرب هوإعجابه الكبير لما وصلت إليه الحياة الفكرية بالمغرب والمكانة المرموقة التي يحظى بها الأستاذ الجامعي والتسهيلات المادية التي تضمن له الحياة الكريمة وذلك " بخلاف ما قد نجده بالجزائر" على حد قوله.

وحديثة عن الأستاذ الجامعي جعله يستطرد الحديث عن الثقافة عموما في المغرب، إذ أبدى انطباعا حسنا في الخطوات التى تسير بها الجامعة والإدارة في المغرب في ميدان التعريب، وبالتالي القضاء شيئا فشيئا على اللغات الأجنبية الدخيلة، حيث يرى سعد الله أن صمام الأمان لهذا الإتجاه يمكن في غيرة المثقفين على لغة وطنهم وتحركهم عندما تقتضي الضرورة صفا واحداً، ولم يخفى إعجابه ايضا بحركة التأليف والنشر إذ يقول في ذلك " وحركة التأليف متقدمة إلى حد كبير". ثم يواصل حديثة عن تنظيم مكتبات المطالعة والبحث، والتسهيلات التي يجدها الباحثين في الإطلاع على الكثير من المخطوطات والكتب النادرة، وقد أشار سعد الله في رحلته هاته الى العديد من المخطوطات التي كان يصادفها (٢١).

أما الأمور الأخرى التي تحدث عنها أبوالقاسم سعد الله هي جولاته السياحة

في العديد من المدن المغربية، والتي كانت بصحبة الأساتذة الذين تعرف عليهم هناك، فقد أخذه الأستاذ الجراري في رحلة الى الدار البيضاء التي إطلّع فيها على جوانب مختلفة من الحياة، فتجده يصف الأمور الإقتصادية التي توضح لنا النظام الإقتصادي بالمغرب من خلال وصفه أهم الصناعات والمنتجات والأسواق والمتاجر ، ويظهر ذلك بوضوح في حديثه عن الدار البيضاء التي إعتبرها مدينة تجارية بمعنى الكلمة " ففيها الشركات والبنوك المغربية والأجنبية بأعداد ضخمة... ويحس المرء في هذه المدينة بأنه في نيويورك أوباريس لولا المنافسة العربية للفرنسية في العناوين والإعلانات". وكانت لسعد الله زيارات لعدد من المدن المغربية أيضا مثل الرباط وسلا، وزيارة بعض المعالم الاثرية كضريح محمد الخامس، صومعة حسان وغيرها من المناطق (٢٢).

وبخلاف هذه الأمور الإقتصادية والجغرافية كان سعد الله مهتما ايضا بالأمور الاجتماعية بالمغرب، ويظهر ذلك من خلال طيبة أهلها وكرمهم، وهوما إلتمسه في اصهار زيمله عباس الجراري والأساتذة المغاربة الذين إلتقاهم، وكانوا يدعونه في كثير من الأحيان لتناول الطعام برفقتهم، إذ نجده يصف الأطباق المغربية الشهية وعاداتهم في طريقة الأكل مع الضيق ومدى كرم المغاربة وحسن تعاملهم مع الغرباء، وهوما يذكره في جلسة غداء جمعته بعائلة الجراري يقول عن ذلك " تحلقنا حول مائدة دسمة تبدأ بالبسطيلا المسكرة الملوزة، وتنتهي بالدجاج المحمر المتبل وتنتقل إلى الكسكسي المصفر بالزعفران الحر والمدهون بأصيل الدهان وتختم بالفاكهة...ومرة أخرى استغنينا بالأصابع عن الشوك والملاعق، وبالجلوس العربي عن الجلوس الأوروبي".

ولم يكن هذا فقط محل إعجاب الكاتب بل وصف ما بداخل المنازل من أثاث وتحف، ويرد وصفه هذا في منزل عبد الله الجراري والد عباس الجراري بقوله " فبعد الجلوس في قاعة مفروشة بالزرابي المنمقة والأرائك الهشة والمحلاة بالتحف الثمينة، والمناضد المنقوشة بالزخرفة المغربية الأصيلة". كما وصف أيضا لباس المغاربة وسياراتهم ومبانيهم وشوارعهم التي تخلد في معظمها أسماء بعض المدن العتيقة والعواصم الحالية مثل دمشق وجدة والقدس وبيروت وحلب ...الخ، وبهذا يمكن القول أن المظاهر السالفة الذكر لها دلالة قوية على عراقة الحضارة المغربية، وحفاظ المغاربة على تراثهم الذي هوجزء من كيان الأمة العربية الإسلامية " فالمغاربة تطلعوا على المستقبل وجديده المذهل لكن دون أن ينسوا معالم شخصيتهم الأصيلة وتزودوا من حضارة الإجنبي دون أن يتخلوا على التراث العربي"(٢٣).

وهكذا إستطاع سعد الله أن يقدم لنا من خلال رحلته صورة لبلد لا يزال متمسكا بأصالته الحضارية، كما أعطى تصور دقيق للقارئ المهتم بهذا المجال، مما جعلنا نزور المغرب في جولة خيالية طريفة، وتلك هي مهمة الأديب والمثقف الواعي بالحياة وقيمة الرحلة.

ب- رحلتة الى الجزيرة العربية :

كانت رحلة سعد الله الى المملكة العربية السعودية في ٢١ ابريل ١٩٧٧م، وكان الهدف من الرحلة أساسا علمي لحضور ندوة نظمتها جامعة الرياض عن مصادر دراسات تاريخ الجزيرة العربية، ومع ذلك فإن السفر إلى السعودية تختلف عن غيرها من الرحلات التي قام بها أديبنا لإن السفر إليها يتطلب إستعدادا من نوع خاص يقول عن ذلك: "السفر إلى الجزيرة العربية ليس كالسفر الى أي جهة أخرى، فإذا كنت في بقية الأسفار تستعد ماديا للسياحة أولحضور اجتماع دولي أولأداء مهمة رسمية، فإنك بالنسبة إلى الجزيرة العربية تستعد قبل كل شئ إستعدادا روحيا مهما كان غرضك المادي من السفر". فرحلته هاته جاءت إستجابة لنداء روحي داخلي، وتحقيقا لأمنية لطالما روادته في زيارة الأماكن المقدسة فيها.

وقد شرع في تسجيل رحلته إنطلاقا من مطار الجزائر إلى مطار جدة مرورا بتونس وطرابلس، على متن طائرة سعودية، وتحدث سعد الله خلال هذا عن إجراءات التفتيش الجمركية الدقيقة التي لقيها بمطار الجزائر، والتي ازعجته كثير واصفا حالته أثناءها بقوله:" إنقلبت نشوتي أسفا، وخفت أن أفقد أعصابي فأفور بعبارات تغضب الجمركي". وهذا بخلاف ما حصل بمطار جدة فيما يخص سرعة الإجراءات، ويذكر سعد الله أنه أثناء سفره في الطائرة قد تعرف على أعضاء الوفود المشاركة في الملتقى ومنهم أعضاء الوفد المغربي، وكل هؤلاء الأعضاء كانوا معرفون لديه، منهم كل من الاستاذ عباس الجراري وعبد الكريم كريم الذين سبق ذكرهم (٢٤).

يحدثنا سعد الله عن وصوله مدينة الرياض صباحا في نفس اليوم الذي تم

فيه إفتتاح الندوة والذي كان بعد الظهيرة، حيث تأسف سعد الله عن قلة المشاركة الجزائرية في الندوة، فلم يحضر من الجزائر سوى مؤرخنا وزميله الأستاذ رشيد بورويبة، وهذا بخلاف الوفود العربية الأخرى كتونس التي إشتركت بخمسة من الباحثين، بينما المغرب الأقصى إشترك بستة منهم. ويعلل سعد الله ذلك إلى الكسل العقلي الذي يعاني منه الجزائري والذي يحرمه من المساهمة في الندوات والمؤتمرات العالمية. رغم أن الدعوات وجهت إلى عدد كبير منهم. بعد هذا إنتقل الى وصف فعاليات الندوة، وذكر الباحثين القادمين من كل جهة وطبيعة البحوث المقدمة، وحسب ملاحظته فهي تختلف في جودتها حسب طبيعة الباحثين يقول عن ذلك " وقد سمعنا ابحاثا في غاية الجودة والموضوعية كان أصحابها يحاولون البحث عن الحقيقة ...ولكن سمعنا بعض الأبحاث التي حاول أصحابها تحريف التاريخ تملقا لهذه الجهة أوتلك". علما أن مؤرخنا قد شارك ببحث عنوانه الرحلات الجزائرية الحجازية.

وأعقب سعد الله حديثه بوصف دقيق للإنضباط والتنظيم الذي ميز الندوة ومشرفيها الذين حددوا برنامجا واضحا لأيام الندوة، بما في ذلك التنظيم المحكم في المواعيد الذي كسر كل إشاعة حول ان الإنسان العربي " لايعرف معنى للوقت". ورغم كثافة الجلسات فإن المشرفين قد وضعوا برنامجا إضافيا للحفلات والمعارض والزيارات التي كانت الى الدرعية والرياض والمتحف الوطني والمكتبات، وكان يصف كل ما يصل إليه إنتباهه عبر الطريق، وأورد أيضا لقاءاته مع بعض العلماء السعوديين من الجيل القديم ومن الجيل الجديد وتبادل الرأي معاهم في المسائل العلمية (٢٥).

وكان برنامج الندوة يضم أيضا زيارة الحرمين الشريفين للوفود المغاربية خاصة، وبذلك تحقق لأديبنا أمل عريض كان يطمح إليه، وشعور طافح وهويخطوخطواته الأولى في تراب المدينة " لم أكد اصدق انني أسير على تراب المدينة وأنظر إلى جبالها ونخيلها وعمرانها...ولا أستطيع في هذه العجالة أن أصف المشاعر التي غمرتني وأنا أشاهد المسجد من بعيد ثم وأنا أدخله من قريب، وكذلك عندما كنت أقف عند الضريح الطاهر". وفي زيارته للمدينة التي بقى فيها ثلاثة أيام إهتم بشيئين الأول هوالتعرف على الأماكن الأثرية التي قرأ عنها في الكتب القديمة كأماكن الغزوات ومساكن الصحابة ونحوذلك. أما الشئ الآخر فهوالمكتبات التي زار فيها مكتبة الأوقاف المجاورة للحرم وغيرها.

ومن المدينة إنتقل إلى جدة التى أحرم منها استعداد لذهاب لمكة لأداء مناسك العمرة، حيث عبر عن حسه الديني شوقا إلى مكة "إن شعور المرء بأنه يمشي على الأرض التي ولد فيها الرسول ونزل فيها الوحي وإنهزم فيها الكفر وإنتصب فيهل مقام ابراهيم جعل كل تعب يهون وكل حاجة دنيوية تتضاءل". أما فيما يخص أداء المناسك فقد سجل لنا إنطباعاته حول المطوف "وكان المطوف خبيراً بأداء الشعائر فصيح اللسان" (٢٦). ومن الأمور الأخرى التي تحدث عنها هواستهجانه لبعض الممارسات التي يقوم بها بعض المعتمرين والتي لا تمت لدِّين بأي صلة.

بقى سعد الله في مكة خمسة أيام منها يومان في الفندق ضيفا على الندوة والثلاثة الأخرى عند أخيه البشير سعد الله المهاجر منذ أكثر من ربع قرن، وفي مكة كما في المدينة عكف على تحقيق أمرين الأول هواشباع فضوله الديني بزيارة الأماكن الشهيرة مثل جبل حراء وعرفات ومنى ونحوها. أما الأمر الثاني وهواشباع نهمه العلمي بالتردد على مكتبتي الحرم المكي ومكتبة الحرم. وخلال رحلته هاته إهتم سعد الله أيضا بوصف الأمور الإجتماعية، بحديثه عن الأجناس البشرية المتواجدة هناك، والمرافق العمومية التي يتمتع بها الفرد السعودي، والمنشاءات العمرانية الضخمة المشيدة والطرقات الحديثة...الخ. وأشار أيضا الى الأمور الإقتصادية، حيث لاحظ التطور الذي وصلت إليه السعودية في هذا المجال، كالأسواق التي أصبحت تنافس نظيرتها في أوربا وأمريكا (٢٧).

فرحلة أبو القاسم سعد الله الى السعودية رغم طابعها الثقافي، فإنها إكتست في نفس الوقت ظلالا دينية، نقلتنا الى المملكة العربية السعودية وجعلتنا نعيش الحدث كما عاشه أبوالقاسم سعدالله، من خلال وصفه الدقيق لكل أبعاد المكان.

رابعا: خصائص رحلاته:

من خلال عرضنا لنموذجين من رحلات سعد الله، سنحاول في هذا العنصر إستعراض أهم الخصائص التي ميزت هاته الرحلات وغيرها، فنجده أنه قد تميز بمنهج علمي دقيق في كتابته لأدب الرحلة، والقارئ لرحلاته يجد أنها تنفرد

ببعض الخصائص تميزها عن غيرها من الرحلات، ويمكننا إجمالها فيما يأتي:

- تمتاز رحلات سعد الله بدقة الملاحظة الوصفية الشاملة، فالدارس يجدها تغطي معلومات عديدة تشمل جميع الجوانب الحضارية،كادت أن تجعل من هذه الرحلات دفاتر موسوعية لا غنى لطالب العلم عنها، فهوينقل صورة متكاملة لما يحيط بالرحالة.
- تركتز رحلات سعد الله في معظمها على الجوانب الثقافية، أي ان السمة الثقافية هي الغالبة في رحلاته وهذا ما وقفنا عنده في النموذجين السابقين، وفي رحلاته المتعددة التي أطلعنا عليها، حيث تجده في أغلبها يصف نشاطاته الثقافية، فرحلته لى المغرب كانت بسب البحث عن المخطوطات، فهو" مشغوف إلى حد الافتتان بالبحث عن الآثار الأدبية والعلمية لعلماء الجزائر في جميع العصور" على حد قول الشيخ البشير الإبراهيمي (٢٨).
- نجد سعد الله في رحلاته لا يبوح بكل شئ عنها فهويذكر جوانب فقط من رحلته، لأنه عادة ما كان يسجل رحلاته في مذكراته ثم يقوم بمراجعتها وإنتقاء ما يصلح لنشر وقتئذ ويترك الباقي إلى أن يحين وقته حتى بعد عشرات السنين يذكر ذلك في قوله " عند عودتي للجزائر نظرت في هذه اليوميات فوجدت فيها ما يصلح لنشر الآن وما لا يصلح إلا بعد انقضاء جيل". فالرحلة عنده ليست بالضرورة تدوين فوري لكل ما يقع في الرحلة، بل إنتقاء لما هومهم.
- تمتاز الرحلة عند أبي القاسم سعد الله بأسلوب عفوي لا تكلف فيه، عكس ما نجده لدى بعض الرحالة الذين يهتمون برحلاتهم شكلا ومضمونا. حيث يختارون أروع الأساليب وأنمقها في كتابة الرحلة، فألاهم عند سعد الله في رحلاته هوالتعبير عن كل ما يثير نظر وحسن الإنسان في رحلته (٢٩).
- تمتاز رحلاته بعاطفة إنسانية صادقة، تظهر في وصفه لمشاعره كما هوالحال مثلا عند تأديته لمناسك العمرة.
- أفكاره شخصية أكثر منها إخبارية، لأنها إتسمت بالسرد العام لنشاطاته وبرنامجه اليومي في الرحلة.
- يعتمد سعد الله في رحلاته على الموازنة والمقارنة لمظاهر الحضارة والسلوك البشري، فهي بذلك يمكن أن تكون مادة جيدة لعلماء الإجتماع، وهذا ما وقفنا عليه في رحلته الى المغرب مثلا مقارنة رجال فكر والثقافة في المغرب والجزائر.
- إن القارئ لرحلات سعد الله يجدها رحلات ذاتية قام بها هوبنفسه تلبية لقناعاته، وليس إستجابة لطلب أي جهة من الجهات.

وفي الأخير يمكن أن نقول أن أبوالقاسم سعد الله من خلال رحلاته قد إستطاع تقديم مادة علمية مهمة للقارئ لرحلاته، فالدارس قد يجد معلومات متعددة في الرحلة الواحدة لأن الرحالة يذكر فيها أمور تتعلق بجميع الميادين، فهوبذلك ينقل صورة متكاملة عن المجتمع الآخر، وبالتالي تصبح الرحلة مرجع مهم يعود إليه الدارس في قضايا كثيرة.

المراجع والإحالات

(١) مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، مكتبة لبنان: بيروت، ١٩٨٤، ص ١٧.

(٢) ناصر عبد الرزاق الموافى، الرحلة في الأدب العربي، القاهرة: مكتبة الوفاء للطباعة والتوزيع، ١٩٩٥، ص ٤١.

(٣) محمد حاتمي، "في الخطاب الرحلي"، مجلة فكر ونقد، عدد ٨٧، مارس، ٢٠٠٧، ٥٢.

(٤) شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، القاهرة: رؤية لنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م، ص ٤٥.

(٥) أبوالقاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، دار عالم المعرفة: الجزائر، ٢٠١١م، ص ٢٠٩.

(٦) مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات الرحالة المغاربة في العهد العثماني، الجزائر: الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، ١٩٧٩م، ص ١٠.

(٧) أبوالقاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج٢، الجزائر: دار عالم المعرفة، ٢٠١١م، ص ص (٢٨٢-٢٨٣).

(٨) نفسه، ص ص (٣٨٨-٣٨٩).

(٩) أبوالقاسم سعد الله، ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج١، الجزائر: دار عالم المعرفة، ٢٠١١م، ص ص (١٨٠-١٨١).

(١٠) عبد الكريم بوصفصاف، الأعمال التاريخية والأدبية والفكرية للدكتور أبي القاسم سعد الله في ميزان الباحثين الجامعين، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ، قسنطينة، ٢٠٠٤، ص ٥٠.

(١١) أبوالقاسم سعد الله، ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق ص ١٨٢.

(١٢) أنظر عبد الرزاق إبن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والآل، تحقيق أبوالقاسم سعد الله، الجزائر : دار عالم المعرفة، ٢٠١١م،.

(١٣) أبوالقاسم سعد الله، ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص ١٨٣

(١٤) أنظر أبي راس الناصر الجزائري، فتح إلاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر: الموؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦م.

(١٥) عبد الكريم بوصفصاف ، المرجع السابق، ص ٥٢.

(١٦) أنظر عبد الرزاق إبن حمادوش، المرجع السابق.

(١٧) أبوالقاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ٣٨٦.

(١٨) نفسه، ج٧، ص ٤٦٢.

(١٩) للمزيد أنظر ابوالقاسم سعد الله، أفكار جامحة، الجزائر: دار عالم المعرفة، ٢٠١١م، ص ١٧٧.

(٢٠) أبوالقاسم سعد الله تجارب في الأدب والرحلة، المرجع السابق، ص ص (٢١٢-٢١٣).

(٢١) نفسه ص ص (٢٣٨-٢٣٩).

(٢٢) أبوالقاسم سعد الله، مسار قلم، ج٣، الجزائر: دار عالم المعرفة، ٢٠١١م، ص ٣٩٠.

(٢٣) عبد السلام ضيف، الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في الأدب الحديث، جامعة الحاج لخضر باتنة، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص ص (٢١٣-٢١٤).

(٢٤) أبوالقاسم سعد الله تجارب في الأدب والرحلة، المرجع السابق، ص ٢٤٦.

(٢٥) أبوالقاسم سعد الله، مسار قلم،ج٤، ص ١٨٥.

(٢٦) أبوالقاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المرجع السابق، ص ٢٦١.

(٢٧) عبد السلام ضيف، المرجع السابق، ص ٢٢٣.

(٢٨) أبوالقاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، الجزائر: دار عالم المعرفة، ٢٠١١م، ص ١٢.

(٢٩) عبد السلام ضيف، المرجع السابق، ص٢٣٥.